مدرسة بارودي الحربية

دراسة وتحقيق

الدكتور محمود عبد المولى

الدار العربية للكتاب

مدرسة باردو الحربية

(أ) مسح جغرافي وعمراني واستراتيجي
لسواحل جنوب الإيالة التونسية

(ب) نظام مدرسة باردو الحربية

دراسة وتحقيق

الدكتور محمود عبد المولى

الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس

رموز و اشارات

(...)	=	ما بين هلاليـن مقترح من المحقق للشرح أو لاستقامـة الجملة .
(.. أ)	=	ورقة « وجه » والرقم يدل على رقم ورقة المخطوط .
(.. ب)	=	ورقة « ظهر » والرقم يدل على رقم ورقة المخطوط .
ج	=	جـزء
ص	=	صفحـة .
ط	=	طبعـة .
م	=	ميـلادى .
هـ	=	هجـرى .
المخطوط (أ)	=	مسح جغرافى وعمرانى واستراتيجى لسواحل جنوب الايالة التونسية (جربة ، قرقنة . صفاقس ، الشابة ... الخ)
المخطوط (ب)	=	نظـام مدرسـة بـاردو الحـربية .
1260/658	=	الرقم السابق للخط المائل يشير للتاريخ الهجرى ومـا بعده للتاريخ الميلادى .
/	=	الخط المائل فى النص يدل على نهاية صفحة من صفحات المخطوط وبداية صفحة أخرى .

مقدمة

تختلف المناهج فى فهم وتقييم التراث العربى اختلافا جذريا، بل حتى فى موقفها منه ، فهى عديدة لكن يمكن حصرها فى تيارات رئيسية ثلاث :

أ) تيار مذهبى مستقبلى ينادى بتدمير التراث غثا وسمينا ، عبئا وحافزا ، وهذا التيار لا خير فيه ، وتجب مقاومته ٠

ب) تيار سلفى رجعى وعتيق ينادى بتقديس التراث جملة وتفصيلا ، وهو تيار رجعى لانه يستهلك التراث ولا ينميه ، بل بالعكس من ذلك ، يعيش على أمجاده ، وأصحابه يعيشون على الماضى وفى أحلام الماضى !

ج) تيار محدود الانتشار ، لكنه علمى وتقدمى اذ يحث على دراسة التراث دراسة علمية ونقدية ، وغربلة هذا التراث وتحريك الحافز منه ، وتنميته وربطه بالتراث الانسانى التقدمى ٠

وهذا التيار الاخير هو الذى التزمناه محاولين تطبيقه فى أعمالنا العلمية وهو من أغنى التيارات عطاء وابداعا ، وهو نقدى شامل حيث لا يؤمن بالازدواجية بين الماضى والحاضر ـ والمستقبل، بل يراها فى نظرة واحدة شمولية ونقدية٠

وتأكيدا لفعالية هذا المفهوم الجدلى والنقدى للتراث ـــ الذى لا يرى ثنائية بين الاصالة والخصوصية (1) من جهة ، والعصرية والحداثة من جهة أخرى ـــ نورد تصورات الاستاذ محمود العالم للمنهج النقدى الشامل للتراث ، اذ كتب ـــ وله الحق فى ذلك ـــ ما يلـــى :

« ان النظرة السلفية الى التراث هى نظرة تقديسية تسعى لفرض الماضى على الحاضر ، تسعى لتثبيت الحاضر وتجميده باسم الماضى • وهى تبطن موقفا اجتماعيا متخلفا • والدعوة الى انكار التراث أو الاستخفاف به أو الانتقاء النفعى منه ، هى دعوة غير تاريخية، دعوة الى افقاد الحاضر عمقه التاريخى، دعوة الى العبودية لانماط حياة وفكر لا ترقـــى الى أبعد من أصلاحية هزيلة ، وهى دعوة الى تلق محض غير قـــادر على الخلق والابداع : غير قادر على الثورة •

الموقف من التراث، لا ينبغى ان يكون موقف الاحياء السلبى، أو موقف الاسترداد البليد، فضلا عن أنه لا ينبغى أن يكون موقف الرفض المطلق أو الانتقائية النفعية ، انما ينبغى أن يكون موقف النقد التاريخى الشامل ، الذي يتبنى التراث كله ، بكل انحائه ، ويتخذه عمقا تاريخيا ، لا مجرد أداة تساعدنا فى طرائق العيش • انه الوعى النقدى بالتراث بمختلف تعابيره وأشكاله ومضامينه ، وفى مختلف ملابساته الاجتماعية التاريخية، فى جذوره وامتداداته

---

(1) يميز الاستاذ عبد الله العـــروى فى تقييمه للتراث بين الخصوصية والأصالـــة ، فالاولى عنده ، حركية متطورة ، والثانية ، سكونية متحجرة ملتفتة الى الوراء . آمـا الدكتور عبد الملـك فيجعل مفهـوم الخصوصية أساسا لفهـم الأصالـة . والحقيقة أن هـذا الفصل والتمييز الذى يقيمـه الاستاذ العروى انما ينبع من مفهومه الخاص للتـراث . على أنه قد يكون من المفيد منهجيا التمييز بينهمـا لا بالمعنى الذى أشار اليـه الاستاذ العـروى . فتكون الخصوصية مفهوما لنوعيـة البنيـة الاجتماعيـة والاقتصادية وتكون الأصالـة مفهومـا لخصوصيـة البنيـة الثقافيـة .

وصراعاته المتنوعة المختلفة . أن نعى التراث معانى وقيما متصارعة فى حياة الماضى ، لا نصوصا ميتة فى كتب أو آثار . وأن نتيح هذا الوعى للناس جميعا ، لا بنشر النصوص ، أو تحقيقها فحسب ، وانما بتقييمها تقييما نقديا تاريخيا ، واتاحتها واستلهامها وتجسيدها فى حياتنا بمختلف وسائل الاعلام والتعليم والثقافة . على أن الامر لا ينبغى أن يقف عند التراث الادبى أو الفكرى أو العلمى أو السلوكى ، وانما يمتد الى التراث الشعبى كذلك .

ان هذا الموقف النقدى التاريخى الشامل من تراثنا كله ، انما هو امتداد لما ينبغى أن يكون عليه موقفنا من تراث عصرنا ، ومن واقع حياتنا . الموقف النقدى التاريخى من حقائق مجتمعنا وعصرنا ، انما هو الارتفاع بهذا الموقف من مستوى الوعى الى مستوى الفعل التاريخى الخلاق . فمن قدرتنا على تغيير واقعنا تغييرا ثوريا يكون منطلقنا الحق الوعى بتراثنا وعيا نقديا تاريخيا ، وتكون قدرتنا على الاحساس العميق بتاريخيتنا عمقا وفعلا (..)

انه سبيلنا لمعرفتنا بذاتنا ، وتجاوزنا الخلاق لماضينا ، ومشاركتنا الفعالة فى عصرنا .

لا تحقق لاصالتنا بغير انتصار حاضرنا ـ المستقبل » . (2)

ثم أن امر احياء التراث ، ليس قضية نخبة من الدارسين والمثقفين فقط ، وليس مجرد معاهد للدراسات العلمية الاكاديمية تقوم على احياء التراث وتحقيقه ، انما هو ، فى المحل الاول ، تحرك الجماهير بالثورة على واقعها المتخلف ، بالفعل التاريخى المبدع لتغيير حياتها وتجديد أبنيتها فى جميع الميادين السياسية

(2) انظر : مناقشات طريق الاصالة والعصرية فى « قضايا عربية » العدد 2 / 1975 .

والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والستراتيجية • فلا اصالة ولا عصرية ، بغير انطلاق هذه الجماهير حاملة الاصالة ، صانعة العصرية ، والمبدعة للتاريخ •

والآن يسعدنى ان أقدم الى القراء هذه الدراسة المتواضعة الاولى من نوعها منهجا وموضوعا عن ــ مدرسة باردو الحربية ــ وما يتعلق بها من وثائق تاريخية وجغرافية واستراتيجية جد هامة : من الناحيتين العسكرية والتربوية • ولقد حاولت فى هذه الدراسة ان أتبنى المنهج النقدى الشامل فى احياء ودراسة التراث ، راجيا ان أوفق مستقبلا فى نشر عمل آخر كنت قد أعددته منذ سنوات للطبع حول : برنامج مدينة سوسة ووطنها من الجوامع والاولياء والمعاصر والديار • وهو عبارة عن مسح جغرافى وعمرانى واستراتيجى لمدن وقرى الساحل التونسى (مع خرائط ملونة) • وهى جزء هام من تراث مدرسة باردو الحربية . هناك مؤلفات عديدة وخرائط استراتيجية متخلفة عن هذه الاكاديمية العسكرية ما تزال تنتظر من يبرزها ويعرف بها ، وهى بحق من مفاخر تراثنا الستراتيجى والتربوى الحديث •

وختاما أعترف بالفضل للزميل والصديق الدكتور محسن العابد على ما قدمه لى من نصائح وخدمات ••• فله منى جزيل الشكر والامتنان •

باب سويقة ــ (تونس)
فى سبتمبر 1975

الحركة الاصلاحية في تونس
في النصف الأول من القرن التاسع عشر
تأسيس مدرسة باردو الحربية

قبل أن ندرس الوثيقتين الهامتين المتخلّفتين عن مدرسة باردو الحربية لابدّ أن نشير إلى الحركة الاصلاحية التي ظهرت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بتونس والتي تمخضت عنها انجازات هامة، لعلّ من أهمّها تأسيس مدرسة باردو في عهد المشير أحمد باي الذي حاول بناء جيش نظامي قوي وعصري.

1 — خلال القرن التاسع عشر، ظهرت حركات إصلاحية في العالم العربي والاسلامي تعمل من أجل الانبعاث والنهضة، إذ استيقظ العالم الاسلامي من سباته الطويل والعميق لينفض عنه غبار عصور الانحطاط والظلام، وليفكّ عنه القيود التي كبلته فكريا وحضاريا واجتماعيا ... في هذه الأثناء، كان الغرب المسيحي في أوج تقدمه الصناعي والاقتصادي وكان يعمل جادا في البحث عن مناطق نفوذ جديدة، وثروات طبيعية هو في حاجة ماسة اليها لتوسعه الصناعي والرأسمالي الجديد.

ولتحقيق غايته هذه، أخذ يعمل بكلّ الوسائل من أجل إضعاف العالم الاسلامي واستغلاله والتدخل في شؤونه. وكانت تركة الرجل المريض لقمة سائغة فحاول تصفيتها نهائيا ولو على حساب « الامبراطورية العثمانية » ! ؟

لذلك وضع الاستعمار الغربي مخططا جهنميا على غاية كبيرة من الخطورة : كانت أولى خطوات هذا المخطط تتمثل في إيقاع الفتنة والبغضاء بين تركيا وبقية الأقطار العربية التابعة لها. وبرز الغربُ في ثوبه المستعار ليلعب دور الداهية. وتراءى لأعين بعض زعماء المسلمين البسطاء، أن الغرب هو المنقذ الوحيد والحامل لمبادىء الحرية والازدهار، وهو الذي سيحررهم من التبعية التركية ومن مخلفات عصور الظلام والركود...

وبإيحاء من الغرب من جهة، وتحت وطأة الوعي القومي من جهة أخرى، رأى العرب أن السبيل الوحيد إلى تحقيق مطامحهم لا يكون إلاّ بانفصالهم عن الامبراطورية العثمانية والأخذ بالأساليب الأوروبية في جميع مظاهر حياتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية. بهذه الطريقة، وتحت وطأة إغراء الغرب المنقذ، وقع العرب في شباك الغرب المسيحي ، وبدأت اللّعبة الاستعمارية !

2 – أمام خطر السياسة التوسعية للدول الأروبية الكبرى، بدأت النّخبة تفكر في مصير البلدان الاسلامية وفي كيفية النهوض بها. وبدأت هذه الحساسية الجديدة تبرز بوضوح، بعد حملة نابليون على مصر التي تمّ فيها اللقاء الاول بين الحضارة الاوروبية المتقدمة والعالم الاسلامي المتخلّف الذي يريد النهضة والقوّة.

ولا شك أنّ تلك الحملة ساهمت مساهمة فعالة ومباشرة في النهضة الفكرية والحضارية في مصر وفي العالم الاسلامي (1).

وتجدر الاشارة إلى أن حركة النهضة لم تقتصر على مصر وحدها، بل شملت شيئًا فشيئًا مناطق كثيرة من العالم الاسلامي، بعد أن تنبه رجال الفكر وأهل الرأي فيه إلى ضعف الحكم الاسلامي أمام عمالقة النهضة الصناعية، وطالبوا بتجديد مؤسسات الدّولة الاسلامية للخروج بها من التخلّف والضعف.

لكنّ الحركات الاصلاحية التي عرفها العالم الاسلامي وخاصة القطر التونسي، خلال القرن التاسع عشر، لم تكن شاملة ولا جذرية وكادت تقتصر، في بعض البلدان ، على النّاحية العسكرية دون أن تمسّ

---

(1) انظر : حمال الدين الشيال : **تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية** ، القاهرة 1950 .

– عبد الرحمان الرافعى : **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الملك فى مصر** : القاهرة (ط 4) 1955 .

أنظمة ومؤسسات الحكم المهترئة أو تحاول أن تحدّ من تعسّف الحكم المطلق، ولم توفّق إلى إنقاذ العالم الاسلامي من التبعيات ليقف في وجه السياسة التوسعية للدول الأروبية الاستعمارية، فإنها رغم ذلك كله، قد تركت آثارا إيجابية في البلدان التي انطلقت منها ومن أهمها :

أولا : مهدت السبيل لميلاد حركات قومية ظهرت بوادرها، في أواخر القرن التاسع عشر، في كثير من البلدان العربية والاسلامية.

ثانيا : ساعدت على انبعاث مؤسسات جديدة وحركات اصلاحية ثقافية وحركات تطالب بضرورة الاصلاح الدستوري والديني والاجتماعي، وهي حركات لم يستطع النظام الاستعماري أن يوقف تيارها(1).

ولم تكن البلاد التونسية خارجة عن هذه الموجة الاصلاحية بل كانت أحد بؤراتها الهامة (2).

3 — كانت القضية التونسية من أهم اهتمامات الديبلوماسية الاوروبية في القرن التاسع عشر، ولا سيما بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 (3).

ولا شك أنّ احتلال فرنسا للجزائر قد وطّد التأثير الفرنسي في تونس ودعم العلاقات التونسية — الفرنسية (4). ويمكن للمرء أن يتساءل: ألم يكن باعث هذا التقارب الفرنسي - التونسي خوف حكام باردو من المصير الذي آلت اليه الجزائر ؟ لا شكّ أنّ هذا الشعور بالخطر كان واردا بالاضافة إلى عوامل أخرى، جعلت حكام تونس يميلون إلى توطيد

(1) انظر : البحث القيم للدكتور الحبيب الجنحانى الذى عنوانه : **الحركة الاصلاحية فى تونس خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر** ، (حولية الجامعة التونسية ، العدد السادس : 1969) ص 111 — 164 .

(2) **نفس المصدر** : ص 112 وما يليها .

(3) راجع تفصيلا :

— Ganiage : *Les origines du Protectorat français en Tunisie*, (1861-1881), Paris, 1959.

— صلاح العقاد : **المغرب العربى** (القاهرة ، 1962) .

(4) **المصدر السابق** : ص 14 وما بعدها .

العلاقات الودية مع جار قويّ وقريب. ومن هذه العوامل، نوعية العلاقات بين تونس والدولة العثمانية، وتدخل الباب العالي عسكريا في طرابلس في ماي 1835. ويميل المؤرخ أندري جليان إلى الاعتقاد أنّ حكّام تونس لم يكونوا يتوقعون أنّ احتلال الجزائر إنما يمثل نقطة البداية للتوسع الفرنسي في القارة الافريقية، وللسيطرة على حوض البحر الابيض المتوسط، وهي أهداف لم تكن سرية بل أعلنت عنها الصحافة الفرنسية بكل وضوح (5).

ومن العوامل الخارجية التي ساعدت حكام تونس على اتباع سياسة التقرب إلى فرنسا وانتهاج سياسة تونسية مستقلة عن السلطنة العثمانية نذكر ما يلي :

— نجاحُ محمّد علي في انتهاج سياسة مصرية مستقلة عن السلطة العثمانية.

— هزيمة العثمانيين أمام فرنسا (عند احتلالها للجزائر) دلت على ضعف العثمانيين أمام الدول الاوروبية الكبرى، وعجزهم عن حماية البلدان الاسلامية من الاحتلال الاوروبي (6).

— خشية حكام تونس من المصير الذي آلت اليه جارتهم طرابلس التي أُلحقت بالقوّة بمركز الخلافة العثمانية(7)، لا سيما بعد رواج إشاعة في تونس مفادها أنّ القائد العثماني يعتزم القدوم إلى تونس مع أسطوله الحربي لالحاقها بطرابلس. وقد تفاوض مصطفى باي في الموضوع مع وزرائه وحاشيته، وكان جلهم يميل إلى استعمال القوة مع الاتراك والدفاع عن استقلال البلاد (8).

---

(5) *Histoire de l'Algérie contemporaine*, (Paris, 1964) p. 61 et suiv.

(6) انظر ابن ابى الضياف : **اتحاف**، ج 3 ، ص 167 وما بعدها .

(7) **نفس المصدر**، ص 191 .

(8) **نفس المصدر**، ص 203 وما بعدها .

4 – لمّا جاء أحمد باي (1837 – 1855) إلى حكم تونس، استمرّ على سياسة أسلافه من التقرّب إلى فرنسا. والظاهر أنّه باتّباعه هذه السياسة في علاقاته مع أوروبا كان يطمح – كما أشرنا سابقا – إلى استكمال استقلاله عن السلطنة العثمانية. ولا شك أن فرنسا كانت على علم بهذه النزعة الانفصالية، فأخذت دبلوماسيتها تشجعه على هذه النّزعة، بحيث أصبح قنصلها يقدم أوراق اعتماده إلى الباي مباشرة، بينما مازالت أنجلترا تعتبر قنصليتها بتونس ملحقة رأسا بالسفارة الرئيسية بالاستانة.

واتّضح لأحمد باي الفرق بين معاملة الانجليز والفرنسيين له، حين قرر زيارة فرنسا سنة 1846 فقد استقبله الملك لوي فيليب (L. Philippe) بقصره بباريس بنفس مظاهر الحفاوة التي يستقبل بها الملوك المستقلون(9). أما الحكومة الانجليزية فقد اشترطت على الباي، قبل أن يزور أنجلترا، أن يقدمه السفير العثماني باعتباره تابعا للسيادة العثمانية العليا، ولذلك عدل الباي عن الزيارة (10).

وهذه السياسة الاستقلالية جعلت المشير أحمد باي يؤسس جيشا نظاميا لا تتحمل إمكانيات البلاد الاقتصادية تكاليفه. وقد كان ينظر، بعين الغيرة، إلى انتصارات وقوة باشا مصر محمد علي (11). وقد اعتمد على الفرنسيين أساسا حينما قرر إدخال مظاهر الحضارة الحديثة إلى تونس، فعهد إليهم بإنشاء الأسطول والمدارس وتدريب الجيش (12). ولا عجب في ذلك، فالمشير الأول شعر بحاجته الملحة إلى فنيين أجانب وضبّاط من ذوي الرتبة العالية لتحقيق مشاريع إصلاحاته ذات الطابع العسكري. ومن الطبيعي، أن نراه يتّجه إلى فرنسا، دون غيرها، بلد نابلون الأول الذي أعجب به إعجابا شديدا. ألم يزين قاعات قصره باللوحات الزيتية

---

(9) راجع عن رحلة احمد باى الى فرنسا، ابن أبى الضياف : **اتحاف** ج 4 ص : 96 و 110 .
(10) راجع : **المغرب العربى**، للدكتور صلاح العقاد ص : 177 وما بعدها .
(11) قانياج : **المصدر السابق** : ص 113 .
(12) حلت بتونس سنة 1843 بعثة فرنسية تحت قيادة ضابط سام هو اليوتنان كولونيل لافلان موباج (Laveleine - Maubeuge)

عن معارك الامبراطور الكبرى ؟ ألـم يترجم إلى العربيـة تاريخ نابليون وأمجاده الحربية ؟ (13). ولا ننسى تلك الانطباعات التي رجع بها المشير إلى بلاده : لقد أعجب إعجابا كبيرا بما شاهده من استعراضات عسكرية وما رآه في تولـون من قوة الأسطول الفرنسي. ولـم تفته أيضا زيارة المتاحف والمسارح والمطابع والمعاهد العلميـة التي لم يكن شغوفا بها شغفـه بالمـؤسسات العسكرية. أما الحياة الفكرية والتقدم الحضاري والاجتماعي ومؤسسات الحكم فقد اهتـمّ بها اهتماما خاصا بعض مرافقي أحمـد بـاي في رحلتـه الشهيرة هذه، ومـن بينهـم خير الـدين وابن أبي الضياف. « فقد وطدت هذه الزيارة العلاقات التونسية – الفرنسيـة وساهمت في تنشيط حركة الاتصال بين تونـس وأوروبا، وهو اتصال ذو تأثيـر واضح في حركة الاصلاح التونسية منذ عهـدها الأول، تأثير لم يقتصر على العلاقـات السياسية والتجاريـة فحسب بل شملت الحياة الفكرية أيضا » (14).

4 ـ مدرسـة بـاردو الحربيـــة (15) :

فكر أحمـد بـاي منذ ولايته في تأسيـس مدرسة عصرية لتخريج ضباط لجيشـه النظامي وذلك على يد أساتذة وضباط سامين أوروبيين. ويذكـر

---

(13) قـرأ عليه الشيخ ابن أبى الضياف هذا التاريخ غير ما مـرة . راجـع : **اتحـاف** ، ج 4 ص 36 و 104 .

(14) الدكتور الجنحانى : **الحركة الاصلاحية فى تونس** ... ص : 117 .

(15) سميت أيضا « بمكتب العلوم الحربية » ، و « مكتب الحرب » ومدرسة المهندسين .
ـ راجع عن مدرسة باردو الحربيـة : ابن أبى الضياف : **اتحـاف** ، ج 4 ص : 36 و 37 انظر أيضـا : **الرائـد التونسى** ، السنـة : 2 ، العدد : 23 بتاريخ 13 جمادى الثانيـة 1278 ص 3 ـ 4 (ذكر تاريـخ المدرسة والمديرين وحالتها آنذاك فى رسالة رد بها أحـد تلاميذها وهو سليم الشدياق على مستعرب اتهمها بالخمول) والعـدد 21 من نفس الرائـد بتاريخ 4 جمادى الثانية 1278 ، وفيه اعلان صـادر عن المجلس البلدى يشجع التلاميـذ على الالتحاق بالمدرسة الحربية والترفيع فى مرتباتهم .
والباب السادس من **اتحاف** (تحقيق أحمد عبد السلام 1971) ص : 70 ومحمد الفاضل ابن عاشور : **الحركة الادبية والفكرية فى تونس** (القاهرة 1956) ص : 13 . وقانياج : **أصول الحمايـة** ... ص : 115 و 116 و 117 .
Arch. Guerre-Tunisie - Carton 13 : Composition de l'armée tunisienne par le Lieutenant Colonnel Folly (Tunis, 20 oct. 1846).



احمد بـاى

ابن أبي الضياف أن هذه المدرسة تأسست في غرة محرم 1256هـ/ 5 مارس 1840، وذلك في سرايته بباردو (16).

أما قانياج فيذكر أن تأسيس المدرسة كان سنة 1838 وهو خطأ. (17) وقد عهد أحمد باي إدارة شؤون مدرسة باردو الحربية إلى المستشرق كاليقاريس (Calligaris) = 1808 — 1877) (18) وجلب إليها أساتذة فرنسيين وايطاليين، وبريطانيين. وقد حاول الضابط كاليقاريس أن ينظم المدرسة على نمط المدرسة الحربية التركية أسكي سراي (E. Seraï).

ومن المواد التي اشتمل عليها برنامجها: اللغة العربية، القرآن الكريم، علم النحو العربي، اللغة الفرنسية ونحوها، علم الحساب، علم الجبر والمقابلة، علم المساحة، علم الجغرافيا، علم الأماكن، علم التحصين الوقتي، أصول عمومية في علم التحصين القار، الصناعات الحربية، علم القوانين العسكرية، صناعة الطبجية، علم رسم الأماكن بالمباشرة على الأرض، كيفية تعمير المدافع وصرخها ... (19).

وفي سنة 1858، أسندت إدارة المدرسة الى القبطان كمبنون (20)

---

(16) **اتحاف** ... ج 4، ص: 36.

(17) **اصول الحماية الفرنسية بتونس** ... ص: 116.

(18) ولد وتوفى فى بربانيا (Barbania). وبعد أن خدم الجيش التركي، مدة من الزمن أصبح مديرا لمدرسة باردو الحربية برتبة كولونال ثم غادر العمل سنة: 1850 وذلك ليتفرغ لدراسة اللغة العربية. وفى سنة 1863 تولى تدريس العربية الدارجة فى جامعة تيران (Tiran). راجع عن حياته وعن تأثيره فى الحياة التونسية:
P. Marty : *Historique de la mission militaire française en Tunisie*, (R.T. 1935) p. 317.

(19) انظر ذلك تفصيلا فى رسالة: **نظام مدرسة باردو الحربية من هذه الدراسة** ص: 111 - 114

(20) قائد فرنسى ولد فى تنار (Tonnerre) فى 4 ماى 1819 وتوفى فى سنة 1891. سمى قبطانا سنة 1848 والحق، سنة 1852 بالبعثة الفرنسية لدى الباى ليدير المدرسة الحربية بباردو، ثم شارك فى حروب القرم وايطاليا والصين. وعندما رجع الى تونس كان برتبة ليوتنان كولونال وذلك سنة 1862 فعين من جديد مديرا لمدرسة باردو الحربية حتى افريل سنة 1864. ومما يذكر انه تولى وزارة الحرب ثلاث مرات كما تقلب فى مناصب هامة: فى ديوان قانبتا (Gambetta) من 1881 حتى 1882 وفى ديوان جول فارى سنة 1883. واخيرا اصبح عضوا فى مجلس الشيوخ الفرنسى ابتداء من سنة 1883.

(Campenon) (ضابط في البعثة الفرنسية) بمعية خمس ضباط وأساتذة أوروبيين وتونسيين كلفوا بتكوين عدد هام من الشبان التونسيين حسب شروط انتداب خاصة (21).

ومن أشهر أساتذتها التونسيين، الأديب الشيخ محمود قابادو 1230/ 1815– 1288 ، 1871 (22) والشيخ محمد البشير التواتي وغيرهما من علماء العصر.

ومن اشهر أساتذتها الأجانب إلى جانب كاليقاريس الذي كان يدرس الحسابيات والتاريخ العسكري والفنون الحربية، الضابط الفرنسي فيريي (Verrier) والضابط الانجليزي دلكاسل (Delcassel) والأستاذ الايطالي ترواني (Troani) ...

وذكر المؤرخون أنّ أحمد باي قد عهد إلى العلامة التونسي

---

(21) انظر ذلك تفصيليا فى **نظام مدرسة باردو الحربية** من هذه الدراسة ص : 90 وما بعدها .

(22) عن حياة قابادو وآثاره ومنهجه الاصلاحى انظر :

- **ديوان شعره** : وهو أهم مصدر لدراسة حياة الرجل وبعض الجوانب الاخرى من شخصيته (جمع محمد السنوسى) تونس ، 1294 ـ 1295 / 1877 ـ 1878 ، (جزءان فى مجلد واحد) .
- **اتحاف** ... لأحمد بن أبى الضياف (1291 / 1874) الذى ذكر قابادو فى الجزاين الرابع والخامس ، وذلك عند حديثه عن تاسيس مكتب الحرب وتعيين قابادو مدرسا به : ج 4 ص 36 ـ 37 .
- **عنوان الأريب** ... لمحمد النيفر (1328 / 1910) ، وفيه ترجمة لقابادو (فى الجزء الثانى ص 127 ـ 130) حيث تحدث فيها عن اصله ونشاته ، وخاصة حين توليه التدريس بمكتب الحرب بباردو ثم بجامع الزيتونة .
- ثم انظر خاصة تلك الدراسة المتخصصة الشاملة لعمر ابن سالم :

قابادو : حياته ، اثاره وتفكيره الاصلاحي ، (الجامعة التونسية ـ مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية) تونس ـ 1975 .



ازيــاء الجيش التـونسي

الشاعر محمود قبادو(23) (أستاذ اللغة العربية والتربية الدينية) بالاشتراك مع المدير الايطالي كاليقاريس ونخبة من طلبة المدرسة « بتحرير خلاصة دروس الأساتذة الأجانب وترجمة كتب أوربية في الفنون الحربية » وقد جعل شابا من نبغاء المماليك مشرفا على المدرسة وهو خير الدين (24) الذي كان همزة وصل بينه وبين الساهرين على حظوظ المدرسة من الأساتذة الأجانب.
ولاشك أن مدرسة باردو « كانت النواة الاولى في نشر الثقافة العصرية في البلاد ». وقد عرّبت مؤلفات تركية وافرنجية في عدة علوم

---

(23) وقد اشتغل قابادو ، ضمن مهامه فى الاكاديمية العسكرية ـ زيادة على التدريس ـ بمراجعة مجموعة من الكتب ترجمها بايعاز منه تلاميذه الضباط (الملازمان حسين ومحمد بن الحاج عمر والملازمان علي وسعيد) عن الفرنسية . ومما يذكر أيضا أن قابادو كان شديد الرغبة فى أن يرى العربية تضطلع بمواد التدريس العلمية والرياضية والحربية . انظر خاصة :

ـ مقدمة كتاب **أصول الحرب** (الديوان لقابادو ، ج 2 ص 31 و 52 ـ 53)

ويؤكد المترجمون والمؤرخون المعاصرون والمحدثون أن قابادو كان ، بالاضافة الى مهامه التدريسية بالاكاديمية العسكرية ، قد تمرس بالرياضيات وتبحر فيها . وكان جل أساتذة الزيتونة المخصصين فى الجبر والمقابلة والهندسة والهيئة ، يراجعون مسائلهم العويصة ويسترشدونه فى كل ما غمض عليهم منها . راجع خاصة :

ـ **عنوان الأريب** ... ص 127 .

ـ **الحركة الادبية والفكرية فى تونس** ، ص 43 .

ـ **نصوص ودراسات** ... لزين العابدين السنوسى ، ص 9 .

ـ **الادب التونسى فى العهد الحسينى** (الغزى) ، ص 180 .

ـ **قابادو** ... لعمر ابن سالم ، ص 39 وما بعدها .

(24) كان أحمد باى قد اشتراه من اسطنبول ، ثم علمه العربية والفرنسية . ولما تولى قابادو التدريس بالاكاديمية العسكرية سنة 1258 / 1842 كان خير الدين ضابطا برتبة الاى أمين (قائد أول للخيالة) ، وتمرس بالفنون العسكرية وهو صاحب تاليف شهير : **اقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك** ، توفى فى 1306 / 1889 ، عن حياته ومنهجه الاصلاحى ، انظر :

ـ **اتحاف** ... الاجزاء 4 ، 5 ، 6 .

ـ **صفوة الاعتبار** لبيرم التونسى : ج 2 ، ص 49 ـ 94 .

ـ **اركان النهضة** ... للفاضل ابن عاشور ، ص 11 ـ 15 .

و**تراجم الاعلام** لنفس المؤلف أعلاه ، ص 47 ـ 50 .

ـ مقدمة **اقوم المسالك** ... لخير الدين (الشنوفى) ص 24 ـ 64 مع قائمة المصادر والمراجع ص 71 ـ 78 .

ـ **خير الدين المصلح** ـ (1873 ـ 1877) لصميدة ، منجى (بالفرنسية ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس 1970)

لا سيما في الفنون الحربية بالاضافة الى ما وضعه تلاميذ المدرسة قد تجاوزت حوالي الأربعين تصنيفا لم تزل مبعثرة في مسوداتها (25).

وقد تخرج من هذه المدرسة نخبة تزعمت الحركة الاصلاحية ومن أشهر رجالها: خيرالدين باشا، والقائد محمد رشيد، والفريق حسين (26) والوزير

---

(25) يسعدنا أن ننشر هذه الدراسة عن مدرسة باردو وذلك بتقديم وثيقتين هامتين . الا أن هناك تصانيف عديدة ما تزال تنتظر من يبرزها ويعرف بها ، وهى بحق من مفاخر تراثنا الستراتيجى والتربوى الحديث . وباستثناء عمل آخر كنا قد أعددناه ، وهو معد للطبع حول : **برنامج مدينة سوسة ووطنها من الجوامع والاولياء والمعاصر والديار** ، نذكر خاصة الآثار القلمية التالية :

– **آلاى تعليم** – ترجمة أحد ضباط المدرسة الحربية (مخطوط بدار الكتب الوطنية محفوظ تحت رقم 499 وعدد أوراقه : 46) .

– **مهمات صناعة الطبجية** – (مخطوط محفوظ تحت رقم 771 ، بدار الكتب الوطنية وعدد أوراقه 188) .

– **أوراق من مؤلفات تونسية فى التعليم العسكرى** (مخطوط محفوظ بدار الكتب الوطنية تحت رقم : 833 ، وعدد أوراقه : 57) .

– **دفتر به صور ورسوم للمحلة التى خرجت الى باجة لمقاومة ثورة محمد العادل باى** (مخطوط بدار الكتب الوطنية محفوظ تحت رقم : 770 وعدد أوراقه : 18) .

(26) أصل هذا الجنرال مملوك شركسى ، مثل خير الدين جىء به الى تونس ، وهو فتى ناشىء ، بين سنة 1251/1835 – 1253/1837 فى عهد مصطفى باشا باى . ثم اعتنى به المشير الاول فادخله سنة 1255 / 1840 الى الاكاديمية الحربية ضمن التلاميذ الضباط الذين انتدبهم لاكمال تكوينهم العسكرى . وفى هذه المدرسة تفوق على أقرانه وخاصة فى ميدان اللغات حيث انكب بمعية زملائه على ممارسة الترجمة وتعريب الكتب التى كانت تدرس بالفرنسية مستعينا على ذلك بالقائمقام كاريقاريس . ومما يذكر أن الجنرال حسين كان متشيعا لآراء أستاذه قابادو الاصلاحية ، ومن العاملين على تحقيقها فى كل مهمة ينتدب لها ، بداية من رئاسة المجلس البلدى التى تولاها سنة 1275 / 1858 ، الى توليه وزارة المعارف والاشغال العمومية سنة 1290 / 1874 ، كل ذلك مرورا بعضويته للمجلس البلدى ومشاركته فى تحرير بنود **عهد الامان وشرحها** سنة 1277 / 1860 – وظل هذا المصلح الواعى يناضل عن مبادئه رغم المناورات والدسائس من نياشينه ، لصلابته فى الحق وصراحته فيه . انظر :

– **اتحاف** ... الاجزاء 4 ، 5 ، 6 .

– **صفوة الاعتبار** ... ج 2 : ص 22 .

– **تراجم الاعلام** ، ص 23 – 31 .

– **خلاصة تاريخ تونس** (ح. ح. عبد الوهاب) ص 166 وما بعدها .